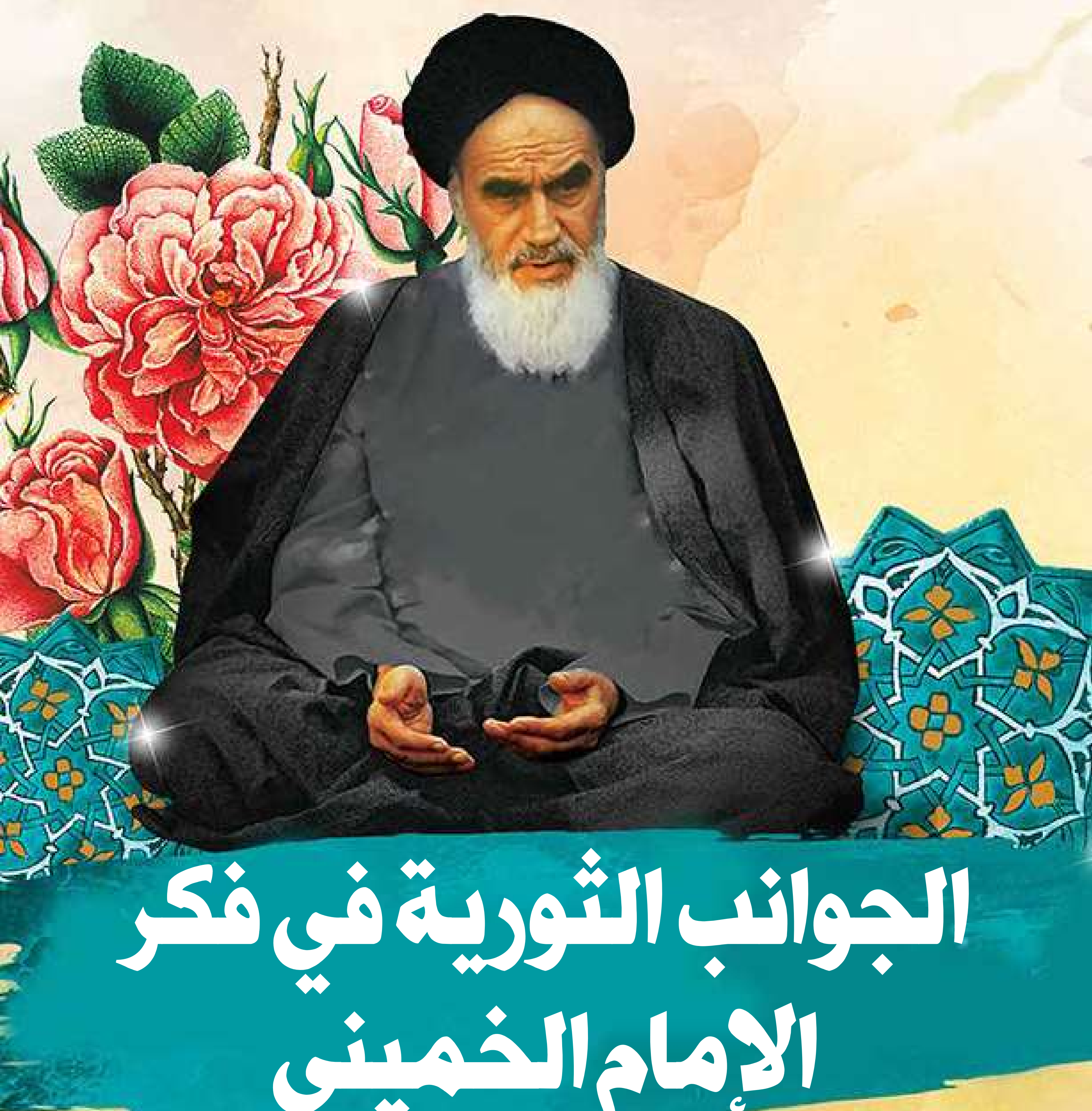

الجوانب الثورية في فكر الإمام الخميني

بقلم / مجدي عبد الهادي - باحث مصري

إذا تناولنا فكر الإمام الخميني من منظور قضايا عصره فإن ثوريته ستتكشف لنا في ست قضايا أساسية ، وهي :

١-موقفه من الاستعمار العالمي :

كان موقف الإمام الخميني الثابت هو رفض كافة أشكال الاستعمار والسيطرة من أقصى صورها ودرجاتها حتى أدناها ، فلم يستثن قوة كبرى ذات مطامع من حسابات التصدي والمقاومة ، حيث كان الاستقلال الوطني في مواجهة المطامع الغربية والشرقية على السواء هو هدفه الأول ، بحيث أعلن شعاراً طبقه بإخلاص هو "لا شرقية ولا غربية" ، فلم يستخدمه كغطاء للأمركة كما فعلت كثير من الأنظمة العميلة بالمنطقة وقتها !! ، حيث وضع الإمام الخميني هذا الاستقلال كمرتكز للتعامل مع كافة الدول والقوى ، وللانطلاق في كافة الممارسات السياسية الدولية ، بحيث تتناسب المسافة ما بين إيران وأي قوة دولية تناسباً طرديّاً مع حجم مطامعها ودرجة ميولها الاستعمارية ، كما وضع هذا الاستقلال باعتباره العمل انطلاقا من المصالح الوطنية الاستراتيجية والمرتبطة بالصالح العام للشعب ، وليس بالارتهان بأي طرف دولي ، ولا بالمراهنة على أي طرف ، مُنطلقاً من "قناعة راسخة في العمل التحرري تتلخص في أن نهوض الأمة من كبوتها رهن بالخروج من أسر المراهنة على الشرق في مواجهة الغرب وعلى الغرب في مواجهة الشرق" .

ورغم وصفه للقوتين العظميين في زمنه بـ "قطبي نهب العالم" إلا أنه كان على وعي بالفرق الهائل ما بين الاثنتين ، وبحيث قدم أميركا باعتبارها "الشيطان - الاستعماري - الأكبر" .

ويؤكد هذا الشيخ حسين الكوراني بقوله : "ويتكرر دائماً في نص الإمام مصطلح الاستعمار الشرقي والغربي ، إلا أن هذا لا يتم أبداً على حساب أولوية التصدي لأمريكا واعتبارها رأس الحرية ومصدر كل شر ؛ فقد سأله مراسل الـ إن .بي .سي عن تعريف الأجانب ، فأجاب : على رأسهم أمريكا التي أصبح نفوذها في كل شؤون الدول معروفاً" .

وقد اعتبر الإمام الخميني أن قضية إيران هي مواجهة الاستكبار العالمي ودحره ، وذلك بجمع كلمة المستضعفين وتوحيد شتاتهم على مستوى العالم كله ضدهم ، فقد "وضع تقسيماً شاملاً للمجتمع الدولي على أساس الاستكبار والاستضعاف ؛ فهناك جبهة المستكبرين التي تضم القطبين العالميين وحلفاءهما وأتباعهما ، وهناك جبهة المستضعفين التي تشمل الدول والشعوب التي تعيش ظلم الجبهة الأولى واستغلالها وسيطرتها" ، ويقول "يتعين على شعب إيران خصوصاً والمسلمين عموماً بذل كامل وسعهم لحفظ هذه الأمانة الإلهية ... ، وأن تتفق كلمة جميع الحكومات والشعوب على ضرورة هذا الأمر ، فيقطعوا دابر القوى الكبرى ناهبة العالم والمجرمين التاريخيين إلى الأبد ، ويرفعوا أياديهم عن رؤوس مظلومي العالم ومضطهديه" .

ولم يجره هذا الموقف لاتخاذ موقف معادٍ للأجانب كبشر ، فهو أجاد التمييز ما بين الشعوب والأنظمة الحاكمة ، رغم تحميله

> **إذا جاز لنا اختزال حياة الإمام الخميني قبل الثورة والحكم في كلمة واحدة فلربما اختزلناها في كلمتين لا غير ، وهما "مقاومة الظلم" ، فجهاد الرجل ضد الشاه بفساده واستبداده وعمالته كان معركة طويلة لا هوادة فيها ولا رحمة ، كما أن خطبه وكتاباته الحافلة في هذا المجال تحتاج مجلدات لاحتوائها..**

لهذه الشعوب مسئولية صمتها عن سياسات حكوماتها ، مع تقديره البالغ لمن وقفوا إلى جانب الحق وساندوا إيران في تحركاتها المشروعة والعادلة ، فبقوله "أنا أدين الدول الكبرى المعتدية ، ... لا شعوب هذه الدول ، وأنا أشكر الناس الغربيين الذين دافعوا عن شعبنا" ، وقوله "إن شعبنا متنفر من حكومة أمريكا ودولتها بسبب الهيمنة الأمريكية ، ... وأنا قلق من أن تؤدي هذه التدخلات إلى تنفر الشعب الإيراني من الشعب الأمريكي ، فيجب على الشعب الأمريكي أن يحمل دولته على عدم التدخل في شئوننا الداخلية" ، كذا "إننا نفرق بين الشعب الأمريكي والإدارة الأمريكية ، ونريد من الشعب الأمريكي أن يدعم الثورة في إيران" .

وقد بنى على هذا أن المواقف من الدول قائمة على مبادئ وسياسات -و ليس على مواريث الماضي - مهما كان سوءها ، فـ"ستكون علاقاتنا مع أمريكا وكذلك سائر دول العالم على قاعدة الاحترام المتبادل ، ولن نعطي أمريكا حق تقرير مصيرنا" ، كما أنه "في الحال الحاضرة يقف الاتحاد السوفييتي والصين في الصف المعادي لشعبنا من خلال دعمهما للشاه ، وفي المستقبل ستبنى سياستنا الخارجية على ضمان حرية البلد واستقلاله والاحترام المتبادل ، وعليهم أن يتخذوا قرارهم وفقاً لذلك" .

وقد كتب في وصيته تأكيداً نهائياً لكل هذه المعاني، فقال :"وصيتي إلى وزراء الخارجية في هذا العصر وما بعده هي أن مسئوليتكم مسئولية كبرى ، سواء على صعيد إصلاح وضع الوزارة والسفارات ، أو على صعيد السياسة الخارجية وحفظ استقلال البلاد ومصالحها وإقامة علاقات حسنة مع الحكومات التي لا تنوي التدخل في شئون بلدنا ، فعليكم أن تجتنبوا اجتناباً تامّاً كل أمر تُشتم منه رائحة التبعية بكافة أبعادها ، ويجب أن تكونوا على علم بأن التبعية في بعض المجالات تؤدي إلى تفسخ جذور الدولة وإن كان لها منافع وقتية " .

كما أكد قبلها على أن النصر سيكون حليف

المظلومين، ومهما كانت الظواهر الخارجية وما توحي به من انهزام ، ومهما كان ما تمتلكه قوى الاستكبار العالمي من قوى وما تمارسه من غطرسة ، فيقول : "نحن أعرضنا عن الشرق والغرب ، عن الاتحاد السوفييتي وأمريكا ؛ لندير بلادنا بأنفسنا ، فهل من الحق أن نتعرض بهذا الشكل لهجوم الشرق والغرب ؟! إنه لاستثناء تاريخي في أوضاع العالم الحالية أن يكون هدفنا منتصراً حتى بموتنا وشهادتنا وانهزامنا الظاهري" .

بل لو تجاوز الأمر الانهزام وصولاً للفناء فلا تنازل عن المبدأ ولا تراجع عن مسألة الاستقلال ، فـ"إيران لن تمد يدها نحو أمريكا أبداً إن شاء الله ، حتى لو تعرضت للفناء" ، فيخطئ هؤلاء الذين "يتصورون أننا سنستسلم لأمريكا في سبيل النفط أو أي شيء آخر ، والحال أننا لن نستسلم لأحد أبداً حتى الفناء" .

٢-موقفه من الحكام الفاسدين والمستبدين والملكيات:

إذا جاز لنا اختزال حياة الإمام الخميني قبل الثورة والحكم في كلمة واحدة فلربما اختزلتاها في كلمتين لا غير ، وهما "مقاومة الظلم" ، فجهاد الرجل ضد الشاه بفساده واستبداده وعمالته كان معركة طويلة لا هوادة فيها ولا رحمة ، كما أن خطبه وكتاباته الحافلة في هذا المجال تحتاج مجلدات لاحتوائها ..

فهو يرفض الفساد المالي الذي ينهب عرق المستضعفين لرخاء الحكام ، ويهاجم الحكام وعلى رأسهم الشاه لإسرافهم وترفهم ، فيقول :"انظروا إلى ما يفعله رؤساء الجمهوريات !! وكيف يعيش هؤلاء السلاطين !! انظروا ما حدث في إيران ، إن الشاه بالإضافة إلى فساده وظلمه يتلاعب ببيت مال الشعب وبيت مال المسلمين بكل حماقة ، ... ، لقد ذكرت عدة مرات شخصاً كتب لي أن واحدة من أخوات الشاه أخذت فيلا في مكان ما في الخارج ، وأذكر أن الثمن كان مرتفعاً جدّاً بشكل يحير العقول ، والذي أذكره من تفاصيل الموضوع أن تكاليف تشجير تلك الفيلا وتزيينها بالورود بلغت خمسة ملايين دولار ، أي ٣٥ مليون تومان ، ... لقد رأينا سلطاناً [يقصد الإمام علي بن أبي طالب] يطفئ المصباح كي لا يبقى مُضاء لمدة دقيقتين يتكلم أثناءها مع أحد الأشخاص كلاماً عاديّاً لا يتعلق ببيت المال" .

ويرفض العمالة للخارج على حساب المصالح الوطنية ومصالح الفقراء في الوطن ، فيعلن بوضوح عمالة الشاه المتعاون مع إسرائيل ضد المسلمين ، والمهدِر لثروات بلاده في خدمتهم ، بينما يعاني الشعب ضيق العيش بسبب تفريط الحاكم ، فيقول : "الأمة تعيش حالة الشظف ، والسلطات تمعن إسرافاً في الأموال ، وتمعن في زيادة الضرائب ، تشتري طائرات الفانتوم ليتدرب عليها الإسرائيليون ، وبما أن إسرائيل في حالة حرب مع المسلمين فكلّ من يساعدها ويساندها هو بدوره في حرب مع المسلمين ، وقد بلغ النفوذ الإسرائيلي في بلدنا حدّاً لا يُطاق ، حتى أن العسكريين الإسرائيليين يتخذون من أراضينا قواعد لهم وأسواقاً لبضائعهم ، مما سيؤدي إلى انحدار أسواق المسلمين تدريجيّاً" .

كما يرفض الاستبداد ، ويطالب في وصيته السياسية بحكومة الحق المقامة لأجل المستضعفين والمناطة بالوقوف في وجه الظلم وإقامة العدل : "إن المرفوض في نهج الأنبياء - عليهم السلام - والذي حذروا

> **كان الفقراء والمستضعفون ضمن الاهتمامات المركزية للإمام الخميني ، بل إنه ليكاد يكون مفهومي المستكبرين والمستضعفين المكونين المركزيين في فلسفته وفهمه للإسلام ، لهذا فلا غرابة في صرخات الرجل المتكررة بلمستضعفين**

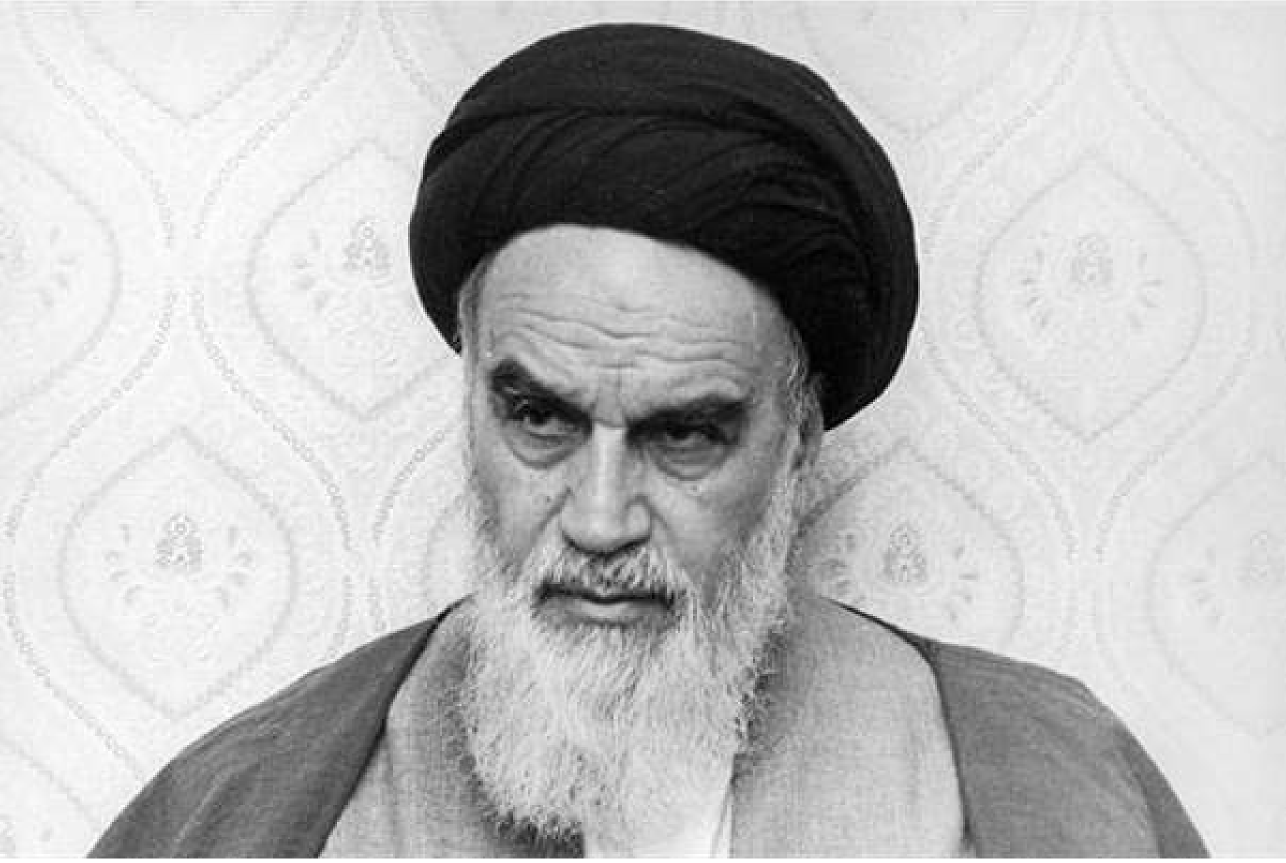

منه إنما هو الحكومات الشيطانية الظالمة المستبدة التي تقوم لأجل التسلط ولدوافع دنيوية منحرفة ولجمع المال والثروة والسعي للتسلط والتجبر ، وبالنتيجة الدنيا التي تسبب غفلة الإنسان عن الله تعالى ، أما حكومة الحق المقامة لأجل المستضعفين والوقوف بوجه الظلم والجور وإقامة العدالة الاجتماعية - كالحكومة التي أقامها سليمان بن داود ونبيّ الإسلام العظيم (ص) وما سعى إليه أوصياؤه العظام - فإنها من أجلّ الواجبات ، والسعي إليها من أسمى العبادات ، كما أن السياسة الصحيحة التي مارستها تلك الحكومات هي من أوجب الأمور" .

وأعلن بوضوح لا يحتمل اللبس رفض الإسلام للأنظمة الملكية الوراثية أيّاً كان شكلها ونوعها ، فـ"النظام الملكي يناقض الحكم الإسلامي ونظامه السياسي ؛ فلقد أبطل الإسلام الملكية وولاية العهد ، واعتبر في أوائل ظهوره جميع أنظمة السلاطين في إيران ومصر واليمن والروم غير شرعية ، ... إن الملكية وولاية العهد هو أسلوب الحكم المشئوم الباطل الذي نهض سيد الشهداء الحسين (ع) لمحاربته والقضاء عليه وإباءً للضيم واستنكافاً من الخنوع لولاية يزيد ومُلكه ، قام بثورته التاريخية ودعا المسلمين جميعاً إلى مثل ذلك ، فليس في الإسلام نظام ملكي وراثي" .

فلم يكن الرجل ممن وصفهم بوعاظ السلاطين دعاة الخضوع للطغاة وعبادة الحكام ، أولئك المنادين بحرمة الخروج على الحاكم ، بل إنه كثيراً ما حمل عليهم وهاجمهم باعتبارهم عباد الدنيا وخدم الطاغوت ، فقال في شأنهم : "ما أدري لماذا يتمسك بعض الناس بروايتين ضعيفتين في مقابل القرآن الذي أمر موسى بالنهوض في وجه فرعون وهو أحد الملوك ، وفي مقابل ما ورد من الأحاديث الكثيرة الآمرة بمحاربة الظالمين ومقاومتهم ، فالكسالى من الناس هم الذين يطرحون كل ذلك جانباً ليتمسكوا بروايتين ضعيفتين تزكى الملوك وتبرر التعاون معهم ، ولو كان هؤلاء متدينين لرووا إلى جانب تلك الروايتين الضعيفتين مجموعة الروايات المناهضة للظلمة وأعوانهم ، مثل هؤلاء الرواة لا عدالة لهم ؛ لما بدر منهم من انحياز إلى أعداء الله وابتعادهم عن تعاليم القرآن والسنة الصحيحة ، بطنتهم دعتهم إلى ذلك لا العلم ، وفي البطنة وفي حب الجاه ما يدعو إلى السير في ركاب الجائرين" .

بل إنه لينادي بالحرب على الطاغوت ويحرض على تدميره ، فيقول : "علينا محاربة الطاغوت ؛ لأن الله تعالى قد أمر بذلك ، وهو قد نهى عن طاعة الطاغوت والسير في ركابه ، وعلى السلطات غير العادلة أن تخلي مكانها لمؤسسات الخدمات العامة الإسلامية ، ... وقد ندبنا الله في كتابه الكريم إلى الوقوف صفّاً كالبنيان في وجه السلاطين ، وأمر موسى بمعارضة فرعون ومقاومته ، ووردت في ذلك أحاديث كثيرة " .

٣-موقفه من الفقراء والمستضعفين:

كان الفقراء والمستضعفون ضمن الاهتمامات المركزية للإمام الخميني ، بل إنه ليكاد يكون مفهومي المستكبرين والمستضعفين المكونين المركزيين في فلسفته وفهمه للإسلام ، لهذا فلا غرابة في صرخات الرجل المتكررة بالمستضعفين :

("يا مستضعفي العالم .. انهضوا واتحدوا ، واطردوا الظالمين ؛ فإن الأرض لله ، وورثتها هم المستضعفون") .

"(إذا أراد مستضعفو العالم أن يعيشوا حياة إنسانية مشرقة فعليهم أن يتحدوا ، وأن يحدوا من قدرة القوى التي تمتلك حق النقض)" .

("يا مستضعفي العالم ، ويا أيتها الدول الإسلامية ، ويا مسلمي العالم .. انهضوا وحاربوا بأيديكم وأسنانكم لأخذ حقوقكم") .

("يا مستضعفي العالم .. انتفضوا على المستكبرين أكلة لحوم البشر ، وخذوا حقكم منهم ؛ فالله معكم ، وهو لا يخلف الميعاد".).

("على المستضعفين في جميع أنحاء العالم أن يهبّوا لأخذ حقهم بأيدٍ واثقة ، وأن لا ينتظروا من أولئك أن يعيدوا لهم حقهم ؛ فإن المستكبرين لن يعيدوا لأحد حقه") .

("يا محرومي العالم ومظلومي التاريخ .. انهضوا ولا تنتظروا أن يبادر الظالمون إلى إطلاقهم من القيد")

("إن النصر النهائي يكمن في انتصار جميع المستضعفين على جميع المستكبرين)" .

("عيد الشعب المستضعف هو ذلك اليوم الذي يكون فيه المستكبرون قد دُفِنوا في الأرض") .

ونلحظ من نداءات الرجل سعة أفقه، وعدم تقيده بقيود الدين ولا الفرقة أو المذهب ، بل إن نداءاته المتكررة كانت دائماً لـ"مستضعفي ومحرومي العالم" و"مظلومي التاريخ" .

كما أنه لم يتوقف عند مجرد النداءات المتكررة للمستضعفين بضرورة تحركهم ؛ بل كان طبيعيّاً أن يربط هذه النداءات بتأصيلها إيديولوجيّاً وأخلاقيّاً بإعادة تأسيس العدالة والتأكيد عليها كمفهوم مركزي في دين الإسلام الحق الذي اختزله شيوخ السلطان في طاعة ولي الأمر الظالم في الغالب !! وحولوه عن مهامه الثورية التقدمية إلى خدمة السلطان والاستكبار :

("إن طريق الإسلام هو: دعم المستضعفين والدفاع عنهم) .

("إننا - وتطبيقاً للإسلام العظيم - ندعم جميع المستضعفين") .

("لا أظن أن هناك عبادة أفضل من خدمة المحرومين)" .

("لقد جاء الإسلام من أجل المستضعفين وأَوْلاهم الأهمية الأولى") .

("أوصي الجميع بالسعي في سبيل تحقيق الرفاه للطبقات المحرومة ؛ فإن في ذلك خير الدنيا والآخرة" .)

("ليس من الإنصاف أن يبقى إنسان بلا مسكن في حين يمتلك الآخر العمارات" .)

ولا يكتفي الخميني بهذا الدعم الديني لخدمة المستضعفين ؛ بل إنه يردفه بتقريظ لأخلاقهم ، وباعتراف بفضلهم بكافة فئاتهم الكادحة ، وكيف يقوم عليهم تقدم المجتمع ومجد الدولة ، كما يحمل على الأغنياء

> ”
>
> **راشد الغنوشي: رأينا في الثورة الإيرانية شيخاً معمماً استطاع أن يقود ثورة المستضعفين ضد نظام مستبد عميل للإمبريالية وضد طبقة رأسمالية متعفنة ، أهم ما قدمته الثورة الإيرانية لنا كان مقولة الصراع بين المستضعفين والمستكبرين ، وهي ترجمة أخرى للصراع بين الفقراء والأغنياء للصراع الطبقي ولكن في إطار إسلامي أشمل وبمصطلحاتٍ إسلامية" .**
>
> “

والمستكبرين وأخلاقهم الطفيلية والمنحرفة :

("اخدموا المستضعفين والمحتاجين وساكني الأكواخ ؛ فهم أولياء نعمتنا") .

("يجب أن نعمل على تخليص شعبنا من أخلاق سكان القصور" .)

("إن أكثر هذه الطبائع الفاسدة سرت من الطبقة المترفة إلى عامة الناس") .

("إن طبائع سكان القصور لا تنسج والتربية السليمة ، ومع الاختراع والتصنيف والتآلف وتحمل المصاعب" .)

("عندما نطالع مذهبنا ونلاحظ غنى فقهنا وفلسفتنا ونتعرف على الذين وصلوا بهذا الفقه إلى هذا الغنى وأوصلوا الفلسفة إلى هذا الغنى سنرى أنهم من سكان الأكواخ ، لا سكان القصور") .

("لقد نزلت بنا مصائب كثيرة في أحداث الحركة الدستورية كان السبب فيها المترفين من سكان القصور ، وكانت مجالسنا مملوءة بالمترفين ، ولم يكن بينهم إلا عدد قليل من سكان الأكواخ ، غير أن هذا العدد القليل استطاع أن يوقف الكثير من الانحرافات") .

("الحمد لله ... أن دولتنا ليست دولة المترفين ، وفي اليوم الذي تتوجه فيه الدولة نحو القصور علينا أن نقرأ فيه الفاتحة على الدولة والشعب") .

("إذا تخلى رئيس جمهوريتنا عن طبائع الفقراء وأصبح على طباع المترفين فإنه سيتعرض هو ومن حوله للانحطاط") .

كما يعطي إشارات خاصة بالعمال والفلاحين ، فيقول :

("العمال هم أثمن طبقة وأكثر الشرائح الاجتماعية نفعاً في المجتمعات") .

("إن عجلة الإنتاج البشرية العظيمة تتحرك وتدور بأيدي العمال القوية") .

("يوم العامل هو يوم دفن سلطة القوى الكبرى"(.

("إن العامل والفلاح هم الأساس في كل بلد ، فالأساس الاقتصادي للبلد مرتبط بالعامل والفلاح" .)

("العمال والفلاحون أساس استقلال الوطن").

ومما يعكس الأثر الإيجابي للخطاب الفكري

والسياسي والديني للإمام الخميني المؤيد للفقراء والكادحين في مواجهة المستغلين شهادة زعيم الحركة الإسلامية بتونس الشيخ راشد الغنوشي ، حيث قال فيما يمكن اعتباره نوعاً من سيرة ذاتية : "في سنة ١٩٨١ وفي سياق انتفاضة العمال سنة ١٩٧٨ استيقظ وعينا الاجتماعي فبدأنا نكتشف هذه الأبعاد الراسخة في نصوص الإسلام ، مثل النص القرآني الذي أحياه فكر الخميني {ونريد أن نمنّ على الذين استُضعِفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين...} مصطلح جديد دخل خطابنا لأول مرة هو مصطلح المستضعفين في مواجهة المستكبرين ، كما بدأنا نكتشف نصوص أحاديث نبوية تؤكد على مناصرة الفقراء والمستضعفين ومقاومة الترف والاستغلال ، فبدأنا نبرزها في خطابنا مثل أحاديث «كاد الفقر أن يكون كفراً» ، «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر» ، «اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً». وعبّرنا عن تلك المعاني ضمن البيان التأسيسي سنة ١٩٨١ الذي أعلن عن ولادة حركة سياسية (حركة الاتجاه الإسلامي) عبرت عن التزامها الكامل بالفكرة الديمقراطية وعن انحيازها إلى صف الفقراء والعمال في صراعهم ضد طغيان الرأسمال"

> **"اعتبر الإمام الخميني أن قضية إيران هي مواجهة الاستكبار العالمي ودحره ، وذلك بجمع كلمة المستضعفين وتوحيد شتاتهم على مستوى العالم كله ضدهم ، فقد "وضع تقسيماً شاملاً للمجتمع الدولي على أساس الاستكبار والاستضعاف ؛ فهناك جبهة المستكبرين التي تضم القطبين العالميين وحلفاءهما وأتباعهما ، وهناك جبهة المستضعفين التي تشمل الدول والشعوب التي تعيش ظلم الجبهة الأولى واستغلالها وسيطرتها"**

، " بدأ التيار الإسلامي يدخل النقابات ويزاحم اليساريين ، وصرنا ندفع قاعدتنا للانتماء للحركة النقابية من منظور أن في المجتمع صراعاً حقيقيّاً بين الرأسمالية وبين جماهير الناس المسحوقة ، وأن الإسلام ليس حياديّاً وإنما منحاز إلى الطبقة الفقيرة ، وسرعان ما حدث تحول في عملنا اليومي ؛ كنا في المرحلة الأولى عندما يدعو اليساريون في الجامعة وفي النقابات إلى الإضرابات نعمل على كسرها وندعو إلى إفشالها على اعتبار أن عملاً يقوده شيوعيون كفار لا بد بالضرورة أن يقاوَم ، لقد تغيرت نظرتنا إلى الأمور وصرنا نعي أن الله لم يخلقنا لنقاوم الشيوعية وإنما لنحقق أهداف الإسلام التي قد تلتقي مع الشيوعية وأي مذهب آخر في بعض النقاط ، وأن أهداف الإسلام الأساسية قيام العدل في العالم ، فقيمة العدل هي القيمة الكبرى في الإسلام ، والعدل اسم من أسماء الله ، فكيف نتورط في معارضة الذين يكافحون لأجل مصالح الفقراء والمستضعفين حتى لو كانوا يساريين ؟!" ، "رأينا في الثورة الإيرانية شيخاً معمماً استطاع أن يقود ثورة المستضعفين ضد نظام مستبد عميل للإمبريالية وضد طبقة رأسمالية متعفنة ، أهم ما قدمته الثورة الإيرانية لنا كان مقولة الصراع بين المستضعفين والمستكبرين ، وهي ترجمة أخرى للصراع بين الفقراء والأغنياء للصراع الطبقي ولكن في إطار إسلامي أشمل وبمصطلحاتٍ إسلامية" .

وتعكس هذا المقتبسات الطويلة ذلك الأثر الهائل الذي تركته الأطروحات الثورية والتقدمية للإمام الخميني وللثورة الإيرانية على بعض من الحركات الإسلامية التي ظلت لفترة طويلة تخدم الظلم والطغيان الرأسمالي بوعي أو بغير وعي ، ولا تبالي بحقوق الفقراء والمستضعفين والكادحين من عمال وفلاحين وغيرهم ، وإن كان هذا الأثر - للأسف - لم يتوسع ليشمل كافة الحركات الإسلامية بما يمهد الطريق لتكوين نوع من لاهوت تحرير إسلامي ، حيث عملت الرجعيات العربية على توظيف الموروث الديني الطائفي والطغياني التقليدي في قطع هذا الطريق ، ولا عجب في

هـذا ؛ فالمصالح الدنيئة والامتيازات الحقيرة مُقدَّمة على الدين عند أغلب ساكني القصور الذين لطالما انتقدهم الخميني وشكك دائماً بإمكانية الاستناد إليهم !!

٤- رفضه للإسلام السلطاني الطائفي :

كما حارب الإمام الخميني الطغاة واستبدادهم ونابذ فقهاء السلطان المنضوين تحت لوائهم كان طبيعيّاً أن يكشف ويعري تحريفاتهم للإسلام ومذاهبهم الضالة المضلة التي نشأت ونمت في خدمة السلطان وهواه ، والتي جمعها تحت اسم جامع هو الإسلام الأمريكي/السلطاني ، أي الإسلام الموظف في خدمة الطغيان من استبداد ملكي وهيمنة أمريكية ، ذلك الطغيان الذي كان القضاء عليه هو قضيته المركزية ، فيكشف عن مغزى "ما ينفقه الملك فهد سنوياً من مبالغ طائلة من أموال المسلمين على طبع القرآن الكريم والتبليغ بالوهابية - هذا المذهب المشحون بالخرافات والباطل جملةً وتفصيلاً - سعياً في تطويع المسلمين والشعوب الغافلة للقوى الكبرى والقضاء على الإسلام العزيز والقرآن الكريم باسم الإسلام والقرآن" .

كما يرى أن الإسلام الحق لا يمكن أن يكون ديناً طائفيّاً تمزقه أشلاء الخلافات الفكرية والمذهبية مهما كانت ، فقط رفض التعصب المذهبي ، فـ"الإخوة السنة منا ، ونحن معهم إخوة في كل شيء نريده لأنفسنا" ، و"كلنا إخوة لأننا مسلمون ، إننا نعيش التلاحم مع الإخوة السنة ، نحن معهم وهم معنا ، وإذا قال أحد كلاماً خلاف ذلك فهو يقصد الفرقة بين المسلمين" ، مُعتبراً الفُرقة على أسس مذهبية إحدى القواعد الثابتة في الإسلام الطغياني المصنوع لخدمة الجور بأيدي فقهاء السلطان ، فافتعال الصراعات المذهبية ما بين الفرق الإسلامية هو مؤامرة خطرة يدبرها أعداء الإسلام والأمة الإسلامية من ملوك وحكام وفقهاء يعملون في خدمة القوى الكبرى ومخططاتها ، فـ"مؤامرة بث التفرقة ما بين المذاهب الإسلامية من الجرائم التي تخطط لها وتحرص على تعميقها القوى الكبرى وعملاؤها المنحرفون ، وخاصّةً وعاظ السلاطين الذين فاق سواد وجوههم سواد وجوه سلاطين الجور" ، كما أن "أولئك الذين يريدون إيجاد التفرقة فهم ليسوا بسُنَّة ولا شيعة ؛ إنهم عملاء للدول العظمى وفي خدمتهم" ، و"بينما تبذل إيران جهودها المكثفة لنشر وحدة الكلمة والتمسك بالإسلام العظيم والاتحاد بين جميع المسلمين في العالم فإنّ الشيطان الأكبر يوعز إلى واحد من أقبح الوجوه الأمريكية وأخبثها وأحد أصدقاء الشاه المخلوع والمقبور ليأخذ فتوى من الفقهاء وأصحاب الفتيا من أهل السنة تقول بكفر الإيرانيين الأعزاء ! حتى لقد أفتى بعض هؤلاء الأذناب قائلا :"إنّ الإسلام الذي يدين به الإيرانيون غير ما ندين به من إسلام" ! أجل إنّ إسلام إيران غير الإسلام الذي يدين به أولئك الذين يدعمون عملاء أمريكا" .

كما أنه كثيراً ما أكد على رفض الإسلام لكافة أشكال الظلم والفساد والاستبداد.

٥- تجاوز المفهوم التقليدي للتقية :

بعد حسم الصراع بين الإمام علي ومعاوية بانتصار معسكر الأخير وتمكنه من السلطة وتوقيعه الصلح مع الإمام الحسن ، ورغم تضمن الصلح لشرط الأمان العام وعدم التعرض لأنصار آل البيت بعامة فإن معاوية قد وضع نصب عينيه تأمين سلطته التي انتوى توريثها ، مُتخذاً في سبيل ذلك كل التدابير الضرورية ، والتي كان على رأسها القضاء على معارضيه ورافضي حكمه الذين يتصدرهم أنصار الإمام علي وآل البيت ، لهذا لم يأل جهداً - ومَن خلفه - في اضطهادهم بكافة الوسائل الممكنة ، بدءاً من قطع الأرزاق ، ومروراً بالسجن والنفي والتعذيب ، وليس انتهاءً بالقتل والصلب والتمثيل بالجثث مما لا يقبله دين ولا ضمير ، حتى وصل الأمر بأن أصبح من الآمَن والأضمن للمرء أن يقال له " زنديق أو كافر " على أن يقال له " شيعيّ " !!

فكان هذا الاضطهاد هو ما جعل مبدأ التقية ضروريّاً ، حيث لم يعد الأمر ترفاً ولا هوىً ؛ بل ضرورة بقاء ، خصوصاً مع تعزز الاضطهاد وتصاعده مع تواتر ثورات الشيعة وتكرارها ، وكما يقول الدكتور محمد عمارة فإن "الذين يعرفون ما تعرَّض له الشيعة على مر التاريخ الإسلامي من محن واضطهادات – بلغت حد المأساة – لا يمكن أن يتصوروا بقاء التشيع رغم هذا الاضطهاد إلا مع احتماء الشيعة بهذه (التقية) .. فهي درع أُجبر الشيعة

على التدرع به اتقاءً للاضطهاد وهرباً من الهلاك والفناء".

والحقيقة أن مفهوم التقية بهذا المعنى هو مفهوم إنساني عامّ ، مارسته أي جماعة إنسانية تعاني الاضطهاد ، فليس الأمر حكراً على الشيعة ، وإن كانوا هم من أصّلوا له فكريّاً وفقهيّاً بحكم كونهم مِن أكثر من تعرضوا للاضطهاد ، وبالتالي كانوا الأكثر حاجة لذاك المفهوم .. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى بحكم كونهم فرقة تميل للتأصيل والتدقيق والترتيب والتصنيف في ظل وجود هيئة مرجعية مُنظمة من الأئمة الأوائل ومن المراجع والآيات والمجتهدين المتأخرين .

وقد عرَّفها الشيخ المفيد بأنها "كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا ، وفرض ذلك إذا علم بالضرورة أو قوي في الظن ، فمتى لم يعلم ضرراً بإظهار الحق ولا قوي في الظن ذلك لم يجب فرض التقية" ، فالتقية ليست مُطلقة ؛ بل إنها مُناطة بالظرف الموجب لها ، وإلا سقطت.

كما أنها أساساً مُقسمة فقهياً للأقسام الفقهية التقليدية : ما بين الواجبة والمستحبة والمباحة والمكروهة والمحرمة ، ومحكومة بقواعد فقهية مشهورة ومُتفق عليها : كقاعدة تقديم أقلّ الضررين ، وتقديم أوجب المصالح ، وقاعدة براءة المكره ، وقاعدة الضرورات تبيح المحظورات ... إلخ.

والتقية المحرمة هي التي ترتبط بمصلحة أو بمفسدة عظيمة ، كتلك المتعلقة بالدم والفتوى ، أمّا المكروهة فتلك التي يترتب عليها مكروه بغير داعٍ أو مُوجب أو ضرورة .

إلا أن المشكلة كانت في التوسع بلا مُوجب مِن قِبَل كثير من العلماء في الالتزام بالتقية ، وخصوصاً في الجانب السياسي ، حتى كاد الأمر يصبح عرفاً وقانوناً ، لولا مرات نادرة هي في حكم الاستثناءات التي تثبت القاعدة ولا تنفيها ، وهي استثناءات في قضايا قليلة الأهمية ، ولا تمثل صداماً حقيقيّاً وجذريّاً مع السلطة ، حيث استمرت قاعدة تغليب التقية على مر السنين وصولاً للسادة المعاصرين للإمام الخميني ، حيث تركوا الحبل على الغارب للشاه وتجبره ، حتى كانت واقعة الهجوم على المدرسة الفيضية وقتل واعتقال الكثيرين ، وذلك على خلفية ما حدث من خلافات وصدامات مع حكومة الشاه بخصوص ما سماه بـ"الثورة البيضاء" ، والأهم تعاونه مع إسرائيل وأميركا ضد الدول العربية والإسلامية ، والتي تصدى فيها الخميني للشاه بصلابة ، محمِّلاً إياه كامل المسئولية عن تلك الجرائم وغيرها ، ومُنتقداً سكوت العلماء ، مُعلناً أن "السكوت اليوم معناه التضامن مع النظام المتجبر" ، كما أصدر بياناً شهيراً بعنوان "محبة الشاه تعني الخراب" ، مُحرِّماً التقية قطعيّاً في مثل هذه المواقف مهما كانت النتائج ، ومُطالباً العلماء بمواجهة الشاه

، متوجهاً لهم بقوله "تكلموا أيها الإخوة ، قولوا كلمتكم ، فماذا يستطيعون أن يفعلوا لو تحدث جميع علماء الإسلام عن أمر ما ؟! وقد حل بالإسلام الخطر" .

ثم يؤكد في موضع آخر "منذ القِدم كان الأنبياء - عليهم السلام - وإلى نبوّة الرسول الأكرم (ص) ثم خلال إمامة الأئمة (ع) جميعهم كانوا يواجهون الظلم ، حتى حين وجودهم في السجن فقد كانوا يواجهون الظلم ؛ فموسى بن جعفر (ع) لم يترك مسؤوليته في المواجهة حتى عندما كان يرزح في السجن ، وكذا أبو عبد الله الحسين (ع) ، فقد كان يقف بوجه هؤلاء رغم التقية الكذائية والكذائية ، تنقل الرواية المقبولة أنه كان يقف ضدهم بالكلام ويمارس التبليغ ويحرك الناس لمعارضتهم" .

ويأتي بخلاصة القول في كتابه (الحكومة الإسلامية) فيؤصل للمسألة قائلاً "لا ينبغي التمسك بالتقية في كل صغيرة وكبيرة ؛ فقد شُرعت التقية للحفاظ على النفس أو الغير من الضرر في مجال فروع الأحكام ، أمّا إذا كان الإسلام كله في خطر فليس في ذلك متسع للتقية والسكوت ، ماذا ترون لو أجبروا فقيهاً على أن يشرع أو يبتدع ؟! فهل ترون أنه يجوز له ذلك تمسكاً بقوله (ع) "التقية ديني ودين آبائي" ؟! ليس هذا مِن موارد التقية أو من مواضعها ، وإذا كانت ظروف التقية تلزم أحداً منا بالدخول في ركب السلاطين فهنا يجب الامتناع عن ذلك حتى لو أدى الامتناع إلى قتله" .

فتجاوز الخميني للمفهوم التقليدي الشائع والشائه والخانع للتقية هو الوجه الآخَر لرفضه للاستبداد والفساد والطغيان ، كذا رفضه لتدجين الإسلام ووضعه في خدمة السلطان .

٦- التجديد لمفهوم ولاية الفقيه :

ليس الاعتقاد بالمنقذ الذي يأتي آخر الزمان ليملأ الأرض عدلاً بعدما ملأت جوراً بالاعتقاد القاصر على الشيعة ؛ بل هو اعتقاد عالمي بكل ما لكلمة عالمي من معنى ، ففكرة المنقذ فكرة راسخة عند كافة الأمم والشعوب فيما نعرف ، وهي ثابتة بكافة الأديان السماوية وكثير من غير السماوية إن لم يكن كلها ، فما يعيشه البشر مِن ظلم وجور يبدو أحياناً بلا نهاية ولا يبدو معه ومع طغيانه وفجوره واشتداد ظلماء ديجوره بارقة أمل لا يجد البشر السلوى سوى في الإيمان بغد بعيد يأتي فيه المنقذ العادل الذي يعيد الأمور إلى نصابها ناشراً الحق والخير والجمال في كافة ربوع الأرض .

وهذا ظرف عامّ نجد أثره في معتقدات البشر كافة وبقدر عموميته ذاتها ، أما الخاص في الأمر المتعلق بالشيعة كفرقة فنابع من تاريخهم الخاص كفرقة مظلومة ومُضطهدة تكونت عقائدها في ولمواجهة الظلم الفادح الواقع عليها على مدى تاريخ طويل ، والذي لشهرته لسنا ملزمين بالخوض فيه .

كما أن الفلسفة التي قام عليها التشيع ذاته باعتباره تشيعاً لفئة محددة وواضحة المعالم مُمثلةً بآل البيت وما ارتبط بها من عقيدة الإمامة التي جعلوها أحد أركان الإيمان ، كان لها أثرها في التجسد الأكثر

> **حارب الإمام الخميني الطغاة واستبدادهم ونابذ فقهاء السلطان المنضوين تحت لوائهم كان طبيعيّاً أن يكشف ويعري تحريفاتهم للإسلام ومذاهبهم الضالة المضلة التي نشأت ونمت في خدمة السلطان وهواه ، والتي جمعها تحت اسم جامع هو الإسلام الأمريكي/السلطاني ، أي الإسلام الموظف في خدمة الطغيان من استبداد ملكي وهيمنة أمريكية**

خصوصية لعقيدة المنقذ لدى الشيعة ، حيث المنقذ المنتظر هو المهدي المنتظر عليه ، وهو إمام آخر الزمان المناط به إقامة دولة الحق والعدل دولة الإسلام ، فهو "الرابع عشر من الأطهار ، الإمام المحجوب عن زماننا ، يقيم في عالم فوق طبيعي لا يُرى للبشر حتى ظهوره المقبل ، رجعته النهائية التي تختم المرحلة الحاضرة من عالمنا ، فالزمن الذي نعيشه هو زمن غيبته كإمام مُنتظر" ، وهو الذي أنبأ به النبي الإمام علي - عليه السلام - بقوله "إن الأئمة يكونون من بعدي اثني عشر ، الأول هو علي بن أبي طالب ، الثاني عشر هو القائم ، المهدي ، وهو الهادي الذي يأخذ الله بيده ليعمل على فتح مشارق الأرض ومغاربها" ، وقوله "الأئمة الهادون المهديون سيكونون يا عليّ اثني عشر من ذريتك ، أنت أولهم ، وآخِرهم يكون على اسمي ، وعندما يظهر يملأ الأرض عدالة وألفة ، كما هي الآن ملآنة جوراً وعسفاً" .

فدولة الحق والعدل إذن لا يقيمها سوى الإمام ، هكذا هي العقيدة الرسالية ، وهذا هو الخط العام الذي تشابكت حوله الاجتهادات والمسالك ، حتى تبنى الإمام الخميني الرأي الجهادي بقوله "لقد مر على الغيبة الكبرى لإمامنا المهدي أكثر من ألف عام ، وقد تمر ألوف السنين قبل أن تقتضي المصلحة قدوم الإمام المنتظر ، ... في طول هذه المدة المديدة هل تبقى أحكام الإسلام مُعطلة يعمل خلالها الناس ما يشاءون ؟! ألا يلزم من ذلك الهرج والمرج ؟!".

وهكذا دعا الإمام الخميني لرؤية مفادها ضرورة أخذ الأمر بالإرادة عاجلاً لا آجلاً ، مُحفزاً الشعب - وفي مقدمته الفقهاء - على التحرك لدفع الظلم والثورة على الجور ؛ لإقامة حكومة العدل ، بدلاً من الانتظار الذي قد يطول "ألوف السنين قبل أن تقتضي المصلحة قدوم الإمام المنتظر"